جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ
دراسات عليا / تاريخ حديث

الصراع العثماني – المصري على بلاد الشام 1831–1838 والموقف الدولي منه

اسم التدريسي

ا.د. عواد إبراهيم خضر

1448هـ

2026م

المقدمة: أهمية بلاد الشام الاستراتيجية

تُعد بلاد الشام منطقة حيوية من الناحية الجغرافية والسياسية والاقتصادية، تقع بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتشكل حلقة وصل رئيسية بين البحر الأبيض المتوسط والداخل العربي، ما منحها أهمية استراتيجية للطرق التجارية وللنفوذ العسكري والسياسي، كما تتميز المنطقة بموارد زراعية غنية، تشمل الحبوب، الزيتون، الكروم، والخضروات، بالإضافة إلى الأخشاب اللازمة للبناء والأسطول البحري، الكثافة السكانية العالية في المدن الرئيسية مثل دمشق، حلب، وبيروت أعطت البلاد قوة اقتصادية إضافية، كل تلك العوامل جعلت السيطرة على بلاد الشام هدفًا رئيسيًا لأي قوة إقليمية، بما في ذلك الدولة العثمانية ومصر بقيادة محمد علي باشا[1].

1. دوافع محمد علي باشا للسيطرة على بلاد الشام

-الأسباب الاقتصادية

كان التوسع نحو الشام مدفوعًا برغبة محمد علي باشا في تأمين موارد إضافية لخزانة الدولة المصرية، ولتلبية احتياجات الجيش والبحرية الحديثة، الأراضي الشامية كانت غنية بالموارد الزراعية والحيوانية والخشبية الضرورية لدعم مشاريعه العسكرية والبنية التحتية[2].

- الأسباب العسكرية والسياسية

بالإضافة إلى الموارد الاقتصادية، كان التوسع نحو الشام جزءًا من خطة محمد علي لتعزيز القدرة العسكرية المصرية، وتوسيع نفوذه الإقليمي خارج حدود مصر، خصوصًا بعد نجاحه في إنشاء جيش حديث وتطوير أسطول بحري قادر على تنفيذ حملات عسكرية خارج حدود البلاد[3].

-الطموحات الشخصية

بعد إنجازاته في مصر، شعر محمد علي أن الدولة العثمانية لا تقدر جهوده بما يتناسب مع إنجازاته، خصوصًا بعد مشاركته في قمع الثورة اليونانية، ذلك دفعه للبحث عن توسع لإظهار قوته واستقلاله الجزئي عن السلطة المركزية في إسطنبول[4].

2. فقدان الثقة بين محمد علي باشا والسلطان

- الخلافات العسكرية والسياسية

رفض السلطان تلبية مطالب محمد علي بتوسيع سلطته ومنحه مكافآت مناسبة بعد الحملات العسكرية، ما أدى إلى شعور محمد علي بفقدان الثقة في السلطة المركزية[5].

– التوتر الإداري

إحدى القضايا التي زادت حدة التوتر كانت رفض ولاة الشام إعادة الفلاحين المصريين الهاربين، وهو ما اعتبره محمد علي تهديدًا لاستقراره الإداري والعسكري[6].

–انعكاسات فقدان الثقة

أدى فقدان الثقة بين الطرفين إلى انفصال تدريجي بين محمد علي وإدارة الدولة العثمانية، ما مهد الطريق لبدء الحملة العسكرية على الشام، وظهور محمد علي كقوة شبه مستقلة داخل الإمبراطورية[7].

ثالثاً: مشروع محمد علي للدولة العربية الكبرى:

– التوسع الإقليمي

رغم عدم إعلان محمد علي رسميًا عن "دولة عربية كبرى"، إلا أن توسع سلطته شمل مصر والشام والحجاز، ما يمكن اعتباره تصورًا أوليًا للوحدة العربية السياسية[8].

–التنسيق مع الزعماء المحليين

حاول محمد علي عبر ابنه إبراهيم باشا التنسيق مع بعض الزعماء المحليين في لبنان وبعض مناطق الشام، ما يعكس محاولات لإدارة الأراضي العربية على نحو مستقل جزئيًا عن السلطة العثمانية[9].

– الموقف الدولي

كانت القوى الأوروبية تراقب توسيع النفوذ المصري بدقة، وخصوصًا بريطانيا وفرنسا وروسيا، مما أعطى المشروع بعدًا دوليًا، إذ ارتبطت فكرة الدولة العربية الكبرى بمصالح القوى الدولية، لا بمصالح محلية فقط[10].

رابعاً: الأهمية الزراعية والتجارية لبلاد الشام:

– الأهمية الزراعية

تتميز بلاد الشام بالأراضي الخصبة التي تنتج الحبوب والزيتون والكروم والفواكه، وهي أساسية لدعم الاقتصاد المصري وحملاته العسكرية[11].

– المراكز التجارية

المرافئ الشامية مثل بيروت وعكا وحيفا كانت محاور للتجارة الإقليمية، خاصة تصدير الحبوب والمنتجات الزراعية، مما منح السيطرة على هذه المرافئ أهمية استراتيجية كبيرة[12].

– الطرق الاستراتيجية

السيطرة على الطرق البرية بين مصر والشام مكّنت محمد علي من ضمان نقل القوات والإمدادات بسرعة، وهو عنصر أساسي في نجاح حملاته العسكرية[13].

خامساً: مسألة استعادة الهاربين من بلاد الشام:

كانت مسألة الهاربين من التجنيد والخدمة الجبائية المصرية سببًا مباشرًا في تصعيد النزاع، إذ رفض بعض ولاة الشام إعادة هؤلاء الفلاحين، واعتبر محمد علي هذا انتهاكًا للنظام الإداري المصري، ما مهد لبدء الحملات العسكرية[14].

سادساً: الخاتمة:

الصراع العثماني–المصري على بلاد الشام بين عامي 1831 و1838 لم يكن مجرد نزاع عسكري عابر، بل كان تجسيدًا لصراع سياسي واقتصادي واستراتيجي طويل المدى، فقد أظهرت دوافع محمد علي باشا للسيطرة على الشام تداخل الأبعاد الاقتصادية والعسكرية والسياسية والشخصية، حيث سعى لضمان موارد زراعية وتجارية مستدامة لدعم جيشه الحديث وتعزيز قوة الدولة المصرية على الصعيد الإقليمي والدولي.

أهمية بلاد الشام لم تقتصر على ثروتها الزراعية أو كثافة سكانها، بل امتدت إلى موقعها الاستراتيجي كمفترق طرق تجارية وحضارية يربط الشرق بالغرب، ويمثل بوابة للنفوذ في البحر الأبيض المتوسط وداخل الأراضي العربية. وهذا الموقع جعل الصراع على بلاد الشام محورًا للسياسات الإقليمية والدولية، حيث راقبته القوى الأوروبية الكبرى بعناية، ولا سيما بريطانيا وفرنسا وروسيا، سعياً للحفاظ على مصالحها التجارية والاستراتيجية.

فقدان الثقة بين محمد علي باشا والسلطان العثماني كان عاملاً مركزيًا في تفجر النزاع، إذ أن رفض السلطان تلبية مطالب محمد علي، ورفض بعض ولاة الشام إعادة الهاربين، أدى إلى تصعيد التوترات وفتح الطريق أمام الحملة العسكرية المصرية. هذا الانفصال التدريجي بين مصر والمركز العثماني لم يقتصر على صعيد العلاقات الشخصية، بل أظهر تحديًا للسلطة المركزية العثمانية وضعفاً في سيطرتها على الولايات الحدودية، ما ساهم في بروز محمد علي كقوة شبه مستقلة داخل الإمبراطورية.

كما أن مشروع محمد علي في إقامة دولة عربية كبرى، رغم أنه لم يتحقق بشكل كامل، كان مؤشرًا على رؤيته الطموحة لتوحيد الأراضي العربية تحت حكم مصري قوي. هذا المشروع لم يكن محليًا فقط، بل ارتبط بموازين القوى الدولية، حيث تدخلت القوى الأوروبية في كل مرحلة لمراقبة التوسع المصري وضبط ميزان القوى في المنطقة.

توضح دراسة الأهمية الزراعية والتجارية للشام أن السيطرة على الموارد الأساسية مثل الحبوب والزيتون والكروم، بالإضافة إلى المرافئ المهمة، كانت عنصراً حاسمًا في استراتيجية محمد علي. فالتحكم بهذه الموارد لم يكن مجرد هدف اقتصادي، بل كان عاملًا حاسمًا في القدرة العسكرية واللوجستية لمصر.

أخيرًا، كانت مسألة الهاربين من الشام حافزًا مباشرًا للصراع، إذ استخدمها محمد علي لتبرير حملاته العسكرية، معتبرًا أن رفض بعض ولاة الشام إعادة هؤلاء الفلاحين يمثل خرقًا للنظام الإداري المصري وتهديدًا لاستقراره الداخلي.

من خلال تحليل جميع هذه العوامل، يمكن الاستنتاج أن الصراع العثماني–المصري على بلاد الشام كان نتيجة تراكمية لمزيج من الأبعاد الاقتصادية، العسكرية، السياسية، والشخصية، كما يعكس التوترات الداخلية في الدولة العثمانية، والتنافس الإقليمي، والمراقبة الدولية من قبل القوى الكبرى. هذه الدراسة تسلط الضوء على دور محمد علي باشا كقائد طموح وذكي سياسياً وعسكرياً، وأهمية بلاد الشام كمحرك للصراعات الإقليمية في القرن التاسع عشر، بما يفسر كيف أن الأحداث في هذه الفترة شكلت مسار العلاقات العربية–العثمانية والموقف الدولي تجاه المنطقة في العقود اللاحقة.